أطياب شقائق النعمان

بشار العيسى
فنان سوري مقيم في باريس

الملكة تودع للرحيل

بيني وبينك سيدتي المتوجة نهر من الحنين
بيني وبينك قمر بهي في ليل بيروت المدمى بأقمار مضيئة بالقنابل
بيني وبينك الحقول والبيادر والحرائق وحكايا الجن والساحرات ومنهوب المجرات وأحزان العاشقين
بيني وبينك بيروت ودمارها، والبغي في غير أوانه، والقنابل تهطل ثلجاً على قيظ الظهيرة
بيني وبينك صديقتي أشياء نرويها عن الضواحي، والجنازير الثقيلة، والحرائق البهية في الحقول والثقيلة في المدن
بيني وبينك ضحكاً مؤجلاً، وخزائن الأسرار التي لم ترو، ولم تتمرى متعتها البسيطة
بيني وبينك فقراء بيروت ودمارها، أهلها الطيبون والبسطاء، الروشة كأنها البيادر
بيني وبينك خجل صامت، كأنني أخاف أن أخاف من الا أودعك
فاعذريني ان غبت أكثر مما استاذنت منك ومن الأحبة والأصدقاء
اعذريني ان سهوت، إن أهملت ذاكرتي.. فالقصف يشتد سيدتي، والدمار من حولي كبير وأنا أحرس بيوت اللاجئين، وأشياء حميمة للأمهات.

"من رسالة "اعتذار" كتبت في الثامن عشر من تموز ١٩٨٢، إلى "جازية العبدي" في الدرباسية . سوريا."

لم أعد، وبقي الحلم، وتاهت الهجرة

منذ أن غادرت "جازية"، توقف انبعاث تلك الأطياب والأنفاس العطرة التي كانت تغلفني من وقت لآخر... تشل ذاكرتي بالتذكارات وتسيح المكان بالزمان، تقطع المسافات إلى أيام خلت ومواقف وفصول ليس عندي مكانها ولا أزمانها، عبق أمكنة، براري وحواري ومساكن تترامى عليها أوراق "الكركور"، يفوح منهاعطر "البابونج"، تتعالى تنهيدة "القرنفل"، "المروند"، "الفريكة"، أنفاس ظروف السمن البلدي، أسرار

صناديق الأعراس الخشبية، تتداخل ألوانها وتطريزات عمائم "الهفرميش"، وقزحيات البنفسجي لزهر"الخلخالوك"، "الهيرو"، وتقصيبات "الحروانيات".

توقفت الأطياب، إلا لماما، منذ آخر مرة، يوم أحاطت بي وبها انتشيت، كأنها عاصفة مرت بخزائن "كروان"، قافلة مترعة بأطايب الشرق كله، مخازنه، عطر نسائه، ضجيج أعراسه، شلالات ألوانه، ثياب معطرة بأصباغ الحناء، شقائق النعمان، "النركز"، "عندكّو"، "المرّ"، والأصبار، "القرفة"، "الزنجفيل"، أخذتني في تهويمة اللوحة، الملكة تودع للرحيل..!

رحلت الملكة، ولم أكن أعرف، يوم كنت أتيهُ في شلال ضياء اللوحة.
بقت روحها العصية على النسيان، بعض عطرها، عطر منزلها، المنزل الأول، الذي ما أن غادرته حتى بدأ حلم العودة إليه يعتصرني كل غروب كالأنين، لم أعد، بقى الحلم، وتاهت الهجرة، لتترنح الذاكرة بهمس خفي، تعيد أحياءه، كلما تاهت بي الأقدار، واحتارت الروح في حيرتها.

شرفة الشفق البهي

تواقت انتهائي من لوحة "جوكندا" في ربيع ١٩٧٦، وزيارتها لنا، شمس وأنا، مزودة كعادتها بالبيض، والجبن، "الكرنك"، خبز التنور، ما كادت تضع أحمالها حتى ضحكت وهي تقول:
" شو إبني، إنتقلت من رسم حاملات القش إلى إختلاس صورة أمك"
قطبت وهي تقول:
"بس أكيد ماراح تبيع صورة أمك لحدا، خليني آخذها معي للضيعة. بس هونيك مين راح يتطلع فيها، والصور حتى الصور يلزمها من يتحدث معها."

ليست اللوحة، رسماً، واقعياً "لجازية"، لكنها تركيب أليف لكائن بشري، وأشياء أخرى تتمرى، يوحدها قلقها في سكينة الآخر، كنت أريد بالمضاهات، امتحان تيهي إلى إعجاز التحفة المرأة التي أثارت إعجاب ومخيلة من رآها ومن لم يرها.
كنت أحلم يوما برؤيتها على غير احتمال كواحد من هذا الجمع الحالم في غبطة المباهاة بملكتي الأجمل والأكمل.

في باريس، في المرة الوحيدة التي زرت فيها متحف "Louvre" كانت لزيارة "لا جوكوندا"، ومع ذلك لم يحدث بيني وبينها ذلك التواصل الذي كنت أظن بأنه سيتألق إلى متعة الحوار الصامت مع "جازية" بالنظر، في تغير درجة الحزن في الصوت، اذ على بساطة روحها وحكمة عقلها وسعة قلبها الوجل، كانت التعبير عن تألق الحزن النبيل، الذي تبثه أحياناً في مواويل بدوية، لا هي كردية، ولا هي عربية، ولا هي تركية، ولا هي غجرية، مواويل لا هي بالنواح، ولا هي بالهلهولة، هي حشرجة الأنين .. الأنين الباحث عن مثيله بالصوات الأقرب ما يكون إلى صوت الريح، ارتطام الطلقة بالأحزان، الأحزان القدرية المتناسلة في التاريخ، في هذا الفارق الفاحش ما بين سطوة الطبيعة ومحدودية الإنسان في مواجيد القهر البريئة على فتنة الرّقة، في كثافة العجز أمام جبروت صيغة "قلوت".

"هوااااريييي..."

لسعة ريح الشمال تنفذ للأعماق كالخرشوف، تترنح ذبالة القنديل، تهرف الكلاب، تموء القطط ، تتجلد الأرض بالزمهرير في غير أوانه، كأنها بحة الناي في صومعة مرفوعة الى شرفة الشفق البهي، كأنه منديل تطرزه ساحرات مملكة أرجوان شقائق النعمان، المترف في السواد، الخضرة المتناسلة في زهيرات النعناع البري، طرواة وبر "الكركور" المستحي بفوحه المنداح خلسة في أثداء النعاج الولودة.

"هوواااااااااارييييييييي..."

ترن المواقد النحاسية عويلاً وصخباً، فواجع لازوردية بطعم الملح، خواء ثغاء القطيع التائه في مجرتنا المتيمة بالأقمار الضائعة.

لم تكن "جازية"، راعية الوعول الجبلية، سليلة مستعمرات الخرنوب، متوجة سنابل القمح بهسيسه، شبح أغنية، ولا كانت وشم تعويذة، لا انعكاس أطياف " الهفرميش" في سواقي الربيع. كانت، ببساطة الجمرة المتوقدة، أمّاً، أمّاً، ليس لأولادها ولا للجيران من البشر دون غيرهم، بل كائناً شمل بأمومته حب الأزهار، الأعشاب، الغيوم الماطرة، الكائنات الضعيفة في ملكوت الله المتناهي في الضعف المتباهي بالقوة.

حب ..كأنه تآليف النسيج في ترف الجسد، متعة الأصباغ في الأصواف والأنسجة، تنهيدة الروح على قلق الريح، نثار الطلع في هبوب نسائم أجنحة الفراشات، همس الذات الالهية تتمرى السكينة في تجويد القرآن، عيون الصيادين القلقة كوحشة الحصادين، ثكل الأرامل، والفتيات الموؤودات بالزيجات العابرة للحدود عن أعمار تتقصف في مصائد الطفولة وأحلام الصبا.

لم تكن "جازية" غجرية ولا فلاحة، لم تتقبل أن تكون سيدة القبائل المتهالكة على مصائر مثخنة بجراحات الزنجار الصدىء، المتقرن على حوافي المواقد، لم تهبط من السماء ولا حملتها أمواج البحر داخل صدفة، لم تحضر في "كروان" الملح والتوابل سبية الغزوات.

والدها كان مربي أغنام ومالك أراضي كبير، كانت لهم خيام سوداء كبيرة، في الشتاء يذهبون الى جبل "عبد العزيز" هرباً من الثلوج، ويعودون إلى قراهم مع الربيع والصيف، إلى "دشتا" هضبة مترعة بالحشائش، ديار بكر في تركيا اليوم.

كانت نبتة في براري "ميزوبوتاميا"، مترعة بهبوب أطايب البطم البري في جبل "عبد العزيز" النافذ في رحيق أعسال ديار "بكر":"هووااااااااااريييييييي..."

الفضاءات التائهة

حارسة الحقول المترامية بشجيرات الخرنوب الذاهبة بجذورها الى أعماق الأرض المكتوية بقيظ الظهيرة حين تتثائب التربة، ثغاء كجمر القرميد، وهي تتطاول هيكلاً كتماثيل "جياكوميتي" في المشهد الوهمي بقوة "الليلان" المتنامي في أوان الإثمار البري، وتتواصل الظلال الوهمية "للخرنوب"، و"الكركور"، و"المروند"، ومرايا أكوام القش.

في المسافة الفاصلة بين الحدود المرسومة على امتداد سكة قطار الشرق السريع، على أزيز الطائرات الفرنسية التي أغارت على "عامودة" و"ديكه"، تدمّت قدما الطفلة "جازية" وهي تأخذ درب الهجرة غير المؤقتة، كتلك التي تقود القطيع والحاشية إلى المراعي ما بين ضفتي "جبل عبد العزيز"و "دشتا جار بكر".
لقد رميت ظروف السمن، جزز الأصواف في الآبار العميقة حتى لا تنهبها الحكومة بعسكرها وطائراتها، وعلى تناوب صراخ "الجندرمة التركية" في مقابل اللكنة البليدة للعسكر الفرنسي، اختلطت الجهات، الجبهات، واللهجات في قرقعة القبعات العسكرية وأحذيتها .
فكرهت الحكومات، كل الحكومات، والعسكر، كل العسكر، سيارات الجيب، أجنحة الطائرات، وخيول الدرك الهجينة بين الحمار والخيل الأصيلة.

ارتدّ الصدى المدمّى على إيقاع مواويل مترعة بالآلام التي تشفي الروح من لوثتها، حيث:
لا رجاء من غناء القبرات...
لا رجاء من شجرة لا تزهر...
لا رجاء من زواج قسري .

لا رجاء لشفاء من جراح حب لا أمل منه.

لم تكن "جازية" أغنية بقدر ما كانت راهبة، راهبة في صومعة الفضاء المفتوح على الرحمة، والمجرة، وما وراء الآفاق المجهولة كالذاهبين إلى حتوف سفر بلّك.

كانت فضاء، موعداً مع القمر في اكتماله وبهائه ولحظة تواطىء المجرة في اختفائه لتتضح الحكاية بأسرارها، لتتزين المخيلة باللهفة في أوانها، كأنها الوتر الذي أنشد الأوديسة في " الجزير" تحت شجرة الشوك بين" مم وزين" ،وهي السجادة القدرية التي نسجتها "بنيلوب" ل "سيامد" في حتفه القدري ما بين التالق والمعجزة.

فضاء من الحب لا حدود لحدوده،
حب كالآيات المعجزات، كمسارات الهجرات والترحال البدوي، إلتقاء نجمتي الحظ ، الحلم الأبدي للتائهين في تيه الله المأمول أبداً، فضاء تطاول كإمتداد الجبال وشسع البراري، يشمل الكائنات كلها، الأنواع كلها، كل الناس حتى الأعداء، النباتات، كل ذي عطر، نفع، ملمس طري، مرأى جميل: "الحرمل" لتعاويذه، "الخرنوب" لعناده، "الكركور" لكرمه ورقته وعطره، "الزميت" في تشكله البهي، "الخلخالوك" لمرآه الجميل كصناديق الأعراس.

لم يعرف فضاء "جازية" الأبواب المغلقة،
ما أكثر ما كرهت غلق الناس الأبواب عليهم كالموتى..
لم يحدث أن أغلق بابنا بوجودها يوماً، لا ليلاً، لا نهاراً، لا صيفاً، لا شتاء، . ليس في القرية وحدها، بل ظلت هكذا حتى بعد انتقالها إلى المدينة . فالأبواب ابتكرت لتستقبل الضيوف واللاجئين وأصحاب الحاجات والأصدقاء المحتاجين إلى الألفة، الناس الخجولين المتعففين. هي الأبواب: إطلالات على عجائب الطبيعة، تناوب الأوقات، الطقوس، من شروق وغروب، غيوم وأمطار، عويل الريح واستغاثات الخطر.. وسلام العابرين بأمان.

ظل باب دارنا في القرية دون جميع البيوت بدون قفل، ولا مغلاق، كل ما كانت تفعله ليلاً أن توربه قليلاً، لئلا تدخل الكلاب أو السائمة، وتترك فسحة للضوء وللصوت ليمرا، حتى في الأيام التي كنا نغيب فيها جميعاً عن القرية، كانت تربط الدرفتين بحبل بسيط وتوصي الجيران:
" عينكم على البيت، وإذا احتجتم شيئاً تعرفون مكان كل شيء."

هذا فضلاً عن "الربعة "غرفة الضيوف المفتوحة على كل واجبات الضيافة مع قترة إمكانياتنا المالية المتواضعة.
"جازية" حب لا حد له.

صدىالطمأنينة

لجازية، ابتهال البداة، عرب الشامية الملتجئين ببلاد الكرد، حين تصبح البادية نار جهنم على حيواتهم وقطعانهم حيث لا ماء ولا هشيم.
إلى فضاء حدودها تنزل أولى الخيام، عند أم حسين،"جازية" تولم لهم في أول نزولهم، ويوم مغادرتهم بالدعاء، أول الخريف.
لهم الدور الأول في السقاية من الآبار التي تشح دوماً، ولهم الحدود المفتوحة إلى كل الحقول المحصودة، ومن يردهم يلحق به عار البخل والخروج عن أيغاث الملهوف.
أما الإعتداء عليهم من الكرد، أو ما بينهم، هو إعتداء علينا، إعتداء على الدم والكرامة والشرف.
من يعترض عليه محاججة الحيوانات الكريمة الجائعة العطشى.

لها، التجأت " نوره" بحملها السفاح، هاربة، ليلاً، من القرى ومن البشر، كتلة من القنوط والدموع، فآوتها وشرعت لزواجها، نهاراً، وأعادتها إلى الحياة، أعادتها لزوجها وأسرته.
لها التجأ "أحمد القصاب" من ظلم الخاتون "نوفة " سلفتها، فآوته، أقتطعت له أرضاً، وهي لم تعتذر يوماً . بالتواطىء الدائم مع زوجها، المتمرد الأبدي، . من فلاح مطرود، إلا وأعادت إليه كرامته وإنسانيته، كانت تمنحه أرضاً وأماناً.

كانت تتلمس النباتات، وكأنها صفحات القرآن الكريم المتكىء على غلافه هناك، لا يفتح الا مرة كل سنة، تجبر الزوج بالعناد الودود، على تلاوته كل يوم من أيام رمضان، قبل أن تتلمسه برفق وخشوع، ثم تعيده إلى النافذة العلوية حيث لا تصل أيدي الصغار.
كانت تحن على الحيوان والحشرات، كل من تجمع في قومه، النمل والنحل والفراشات والوعول والنعاج والأفراس والغزلان والحمام والسنونوات.

كانت تفيض ذخيرة من القصص والتوريات البدائية، ترجع الأصول الأسطورية لكل الحيوانات، غير السامة . وتستثني الحية منها لنبل انسيابها وإشراقة جلدها البراق، والأثر الجميل لمسارها، والنفع الكامن في ثوبها المتغير، في شفاء أمراض العيون . والطيور والحشرات غير اللزجة.

كما تفننت في استخلاص الوصفات الطبية للأعشاب، وقدراتها الروحية، وعلاقة كل نوع بالمكان، بالمنزل وساكنيه، سمومه وشفاءاته، بلسمه وقروحه.

"الحرمل"، المبخرة الأبدية لتطهيرالمنزل من الأمراض، من الأرواح الشريرة، فضلاً عن مطرزات خاصة لتزيين الجدران وتحصينها، و"الكركور" لتطييب نكهة حليب النعاج.

لم تتأخر يوماً عن تبخير المنزل بدخان "الحرمل" طرداً للأرواح الشريرة وتطهيراً من الأمراض والعلل الجسدية والروحية، لم تغسل غسيلاً يوم الأربعاء لطقوس خاصة في مفكرتها، لم تسكب يوماً ماء حاراً على الأرض دون أن تسبقه ببسلمة، كي لا تؤذي أطفال الجن اللاعبين بين أيدينا، لم تقبل بقتل حية تلتجيء لجحر في الدار قط، فقد تكون متناسخة عن روح كريمة، ولها في ذلك حكايات وأمثال، لم تسكت عن ضرب حيوان أليف . لأنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه، ولا لسان له ليصرخ به للدفاع عن نفسه . ولا الإعتداء على فرس أصيلة، ولا ضرب امرأة، من قبل زوجها أو أخيها أو أبيها، كأنها المدافع الأول عن حقوق كل هذه الكائنات الضعيفة، تنطق بحكمتها البسيطة:

"كل إنسان يمكن أن يتحول إلى وحش إذا توحش أو طغى والبغي معصية الله، ورحمته تشمل كل الكائنات، النمل قبل البشر فهم قطيعه وأغنامه المفضلة."

"جازية"

لمن يعرفها امرأة تشبه رائحة خبز التنور في كرمه، حجر البازلت في طراوة ملمسه وشدة عناده، "جازية" من رحيق الزهر ونسغ الأعشاب، شفاف الضوء وشغب المجرة الأبدي على الليل.

كانت تستمتع بالمشي على الأرض حافية، وتمرر برفق يديها على العشيبات وهي تنمو، تقدس التربة الحمراء، لإعتبارها خلاصة نقيض النجاسة والإسوداد والتلوث، تطهر بها الأوعية والجدران، ولها في ذلك طقوس، تدهن بها جدران البيت دون جميع الناس مفضلة التربة الحمراء الطرية على لذوعة الكلس.

لم تكن امرأة، بل أماً، لم تكن أماً، بل رب أسرة، لم تكن رب أسرة بل راعية لكل القرية بناسها ونباتها وحيوانها وجغرافيتها، ولم تكن هذه القرية وحدها، فهي حارسة الدروب والقرى المتصلة بها، بناسها، وأهلها، هي قلب للناس، ليس عن سطوة أو نزوة، كانت تقرر متى حان وقت حرق البراري، لتقضي على الأعشاب الضارة، وتطلب من مربي الأغنام إذا تأخر الربيع أن يبدأ بالرعي ليلاً، كانت تهبه زرع أسرتها بما يسد أود الغنيم، تشرع بذلك الرعي في حقول القمح كلها للحفاظ على حياة القطيع، لذا كان بيتنا أول

البيوت التي تستقبل حليب النعاج الولودة، الذي منه تصنع قشطة "فرو" اللذيذة، كما كان يستقبل آخر ألبان الحليب في كثافة دسامة أواخر مواسم الحلب كل صيف.
كانت"جازية" كل ذلك.

أراها، الآن.. هناك

كرهت مؤسسات الحكومة كلها، ما عدا واحدة: المدرسة، لم تكن تعرف القراءة، تخشى أن تلمس الكتب لأن فيها أحرف القرآن وأسماء الله، مع ذلك ذاكرت معنا جميعاً كل واجباتنا المدرسية، كانت تتأمل كتابتنا، توجهنا نحو انحراف الخط عن مساره، وهي تتنقل مابين غرفة الجلوس وحجيرة المطبخ المعزولة عن البيت، حيث موقد النار والمخبزة الصاجية تحمل إما خبزاً يتصاعد منه البخار المنعش أو حطب في طريقه إلى الإشتعال، وهي تتأمل رفاً من التلاميذ، كأننا داخل قاعة الدرس، أوامرها أن يعلم الكبير الصغير، والصغير من دونه وهكذا، ذهب بها الأمر تقديرا للتعلم، أن افتتحت مدرسة صيفية هي المديرة غير الرسمية، وأخي الكبير معلم الصف الوحيد، ونحن جميعاً مساعدوه، وبإلحاح منها إلتحق بالمدرسة الصيفية تلك، كل التلامذة الرعيان من القرى المجاورة، ليتعلموا القراءة والكتابة قبل أن يذهبوا إلى العسكرية، ليتسلى أولادها بهم ومعهم، فلا يملوا رتابة أيام الصيف القائظ.

كنا تسعة أبناء، أربع بنات وخمس صبيان، "عيسى" رمزها، كبيرها كان المدلل مهما عمل، بعد زعل سنين بعثت وراءه ليلة موتها، وقالت له اليوم ستنام عند أمك هذا بيتك وغدا نتكلم، وأسلمت الروح نائمة في الوقت الذي كنت أرسم لوحة الملكة تودع للرحيل.

ا

كانت "جازية" قد قررت في إحدى الليالي التي كان الوالد يغيب فيها كثيراً إلى متع المدينة، قالتها بصوت واضح حاسم: "غداً تذهبون جميعاً إلى المدرسة."
ومنا من كان قد تركها من سنتين ومن لم يذهب لها قط، ومنا من دون عمر المدرسة، هي قررت ونطقت:
"أنت تذهب لترى كيف يتعلمون لتعلم الصغير بيننا، وأنت "بشارو"، صف أول، وأنت "حسين" صف ثاني، وأنت "عيسى" صف خامس."
في اليوم التالي كنا نغسل جميعاً وجوهنا، فيما بعد ألحقت بنا إبني الجيران، قررت عن أهلهم، لنأخذ الطريق إلى قرية "مشيرفة" للدراسة، ظلت واقفة، كل يوم أمام الجدار تنتظر لحين عودتنا ، لم تتأخر فجر يوم واحد لأي سبب كان حتى في سنوات مرض طال أكثر من سنة، عن الاستيقاظ فجر كل يوم، تعجن وتخبزعلى الصاج، تحضر فطورنا الدفيء اليومي، لا تدخل المنزل قبل عودتنا، وأحيانا تلاقينا في

منتصف الطريق إذا أمطرت وفاضت الوديان أو أثلجت، تحمل عنا كتبنا، أو تأتينا بأكياس نشكل منها شبه قبعات تحمينا من المطر.

كانت قد تيقنت بأن لا مستقبل للزراعة أو الرعي، فالحكومات تدخلت في حياة القبائل والعشائر ومصائر البشر، لذا لم يبق للبشر إلا أن يستوطنوا الحكومة ليتفادوا شرها، وهي شر الشرور، لم يعرف عنها أن جعلت من تربية الحيوان مهمة تليق بزوجها أو بأولادها، لذا بقينا نفتقد قطيعاً أصبح حلماً، ومع ذلك لم يغب يوماً عن مائدتنا المتواضعة مشتقات الحليب، أوعن أسبوعنا وجبة اللحم، كان همها الأساسي بعد المدرسة والكتب والدفاتر، مؤنة السنة، من الأصواف، والسمن واللحم القديد، البرغل بمشتقاته، رب البندورة والسكر والشاي مرة واحدة لكل السنة، ولتنزل كل الثلوج.
أما الأدوية فتستخلصها من الأعشاب التي جمعتها في أوانها، تطهي كل أطايب الحساء المبهرة بكل أنواع البهار والفلفل والزنجبيل والقرفة.

كانت "جازية" الوحيدة في تلك البراري التي أرسلت بناتها إلى المدرسة في قرية أخرى على مسافة أكثر من ثلاث كيلومترات، في حين أن أهل القرية عينها، يحجمون عن إرسال البنات، إذ كان عندها إحساس فطري، زرعته فينا زرعاً، "لا يجوز أن تكونوا كالآخرين"، ولنا في ذلك حصانة، حصانة ما، نستمدها منها حتى والدنا لم يتدخل في هذا الأمر، المدرسة والعلم، باعا الأرض التي كانا يملكانها قطعة قطعة، لئلا يكون ضيق ذات اليد مانعاً عن الدراسة: " واحد في "الحسكة" وإثنان في "الدرباسية"، وآخر في "القرية"، إثنان في "القامشلي" وواحد في "حمص" أو "دمشق" ورابع في "الدرباسية"، وهي تدير أمور الجميع بقدرة إلهية وبالتواصل الروحي الذي يلهمها. كانت تعصى على النوم والمرض والتعب، تظل ضاحكة، حيية، ممشوقة، أنيقة، وكأنها مهرجان ألوان، لم يقربها قنوط في أصعب الأوقات، ذخيرتها ورأسمالها حبها للناس، وترحيبها الدائم بهم، و بقدر ما كان والدي مشاكساً، مشاغباً، كانت هي كتلة من الطيب والدماثة، تعتذر بالمودة عن أخطائه فيرضى، فتحيل بهدوئها قساوته إلى طراوة ينتعش هو لها.

والآن.... كلماحكيت لهما عن روح "جازية" العابره هناك... يرسم "رودي" إبتسامة خبيثة، قائلاً: " ألم تنزل أرضك، وكوكب الكرد عن قرن الثور؟ فتتدخل "جلبهار" برقة "جازية" ودلالها:"دعك منه تنقصه التجربة، أنني أحس مثلك بمرورها، وكأنني أعرفها كما أعرفك...." وأتحايل على حيلتي بفسحة خيال ابنتي.!

أراها، تمر بي روحاً، ترنيمة، لسعة لون، صدى جملة:
"قلم تراش، مه صبر، ته صبر ؟!".

" قلم تراش" هو سكين الجراح الذي يشق به جسد الانسان، من يتحمل الألم ليشفى، هكذا كانت تنوح كل آه، كلما أحست بأن الألم بلغ مداه.

أراها هناك، تمر ناظرة إلي، تكاد قدماها تلامس شجيرات السفح المواجه لنافذة مرسمي، في "ارجنتوي"، تماماً، كما كانت ترينا شبح "خوجايي خدر" "مار الياس"، يسرع الخطى وكأنه يطير أوان الغروب على تخوم التلة الشمالية لقريتنا "خربة " باب السلام، وكلما نظرتُ إلى شخوص " شاغال" الطائرة، تملكتني رهبة طيران "خوجايي خدر"، كان مروره الذي كانت تعرف مواقيته من رطوبة الهواء، ودرجة تكاثف الغيم، لسعة البرودة في الجسد، في متاهتنا تلك ، مناسبة لإشعال نيران المواقد النورانية الزرادشتية، على سطح منزلنا تحية للقديس الذي كنا نحتفل به وجيراننا المسيحيون، أراها، الآن.. هناك.

١ . "الكركور": شجيرة عشبية برية ذات ملمس وبري طري، لها ساق تقشر وتؤكل لذيذة الطعم، إذا رعتها الأغنام تبث نكهة لذيذة في الحليب أوانها أواخر الصيف.

٢ . "المروند" : عشبة كثيفة الوريقات طرية الملمس، ذات تأثير مهضم، يقال أن القنفذ يتناولها بعد أكله الأفاعي، وإذا لم تتوفر النبتة هذه بعد أكل الأفعى يموت القنفذ لاستعصاء الهضم، وللنبتة رائحة مريحة للأعصاب ويتم تناولها طازجة.

٣ . "الهفرميش": اللفظة الكردية للحرير، وتلفظ "حفرميش" وتلفظ الفاء مثل v اللاتينية.

٤ . "خلخالوك": نبات شجيرة فصلية ربيعية لها أزهار بالونية بلون يتداخل البنفسجي مع الأبيض ولها طعم سكري.

٥ . "هيرو": شجيرة فصلية ربيعية ترتفع إلى متر تقريباً، تزهر أزهاراً خطمية ببتلات كبيرة، تستخدم أزهارها في وصفات الزهورات لمعالجة الرشح والزكام.

٦ . "كروان": القافلة.

٧ . "عندكّو": عشب عطر يفوح في البراري ربيعاً.

٨ . "قلم تراش": مبضع الجراح ويرمز إلى تحمل الآلام بالصبر على الجراح.

٩ . "كّرنغ": نبتة حرشفية تنبت في الربيع، في حقول القمح تؤكل طازجة أومقلية بالبيض.

١٠ . la Joconde جوكندا: اللوحة الشهيرة للرسام الإيطالي "ليوناردو دا فينشي"، صورة شخصية لموناليزا زوجة البنكي الفلورنسي، "فرانسيسكو أل جوكوندو".

١٢ . "هوااارييييي": صرخة لوعة واستغاثة واستنكار.

١٣ . "الخرنوب": شجيرة صيفية شوكية الاخضرار تمتد بجذورها في الأرض، تستخلص الرطوبة من التربة، تعطي ثمراً خرشوفي الطعم يسمى "حسحسوك"، تفاح الفقراء، يسلخ جلدة على حجر البازلت ويفرك بالملح ليؤتى أكله.

١٤ . لا رجاء من غناء القبرات...... مقطع من أغنية كردية.

١٥ . "الجزير": مدينة في "كردستان" على ضفاف "دجلة".

١٦ . "مم وزين": بطلا الملحمة الكردية "مم وزين" في منتصف القرن السابع عشر الميلادي، الشبيهة بقصة روميو وجولييت.

١٦ . "سيامد": شخصية أسطورية كردية، قادها "خوجاي خدر" إلى التالق والأقدار الى حتفه في مواجهة الوعول.

١٧ . "الزميت": عشبة جميلة تفترش الأرض على شكل نجمة تؤكل مطبوخة، لها مرارة محببة.

١٨ . "الحرمل": شجيرة ربيعية، بذورها تستخدم كبخور يتطهر بدخانه وفواح عطره، وتصاغ منه زينات قلائدية أوان خضرته على شكل سجاجيد لتزيين الجدران تيمنا وبركة وجمالية.

١٩ . "قْرُوّ": نوع من القشطة تصنع من حليب يوم الولادة الأول، يتكثف بالحرارة، متحولاً إلى نوع من الجبن القشدة.

٢٠ . "رودي" : من رأى الشمس، أبني الأصغر.

٢١ . "جلبهار": ورد الربيع، أي شقائق النعمان ، أبنتي الكبرى.